القصص

مأساة من اسخيلوس

أجاممنون

للأستاذ دريني خشبة

« ولد اسخيلوس سنة ٥٢٥ ق . م . وعاش سبعاً وستين سنة ، وحارب في موقعة ماراثون ، وكتب تسعين دراما لم يبق منها غير سبع . وكان يكتب دراما ثلاثية Trilogy أي تتركب الواحدة منها من ثلاث دراما ـ أو قل فصول ـ تستقل كل منها بنفسها ، وتكون مع الأخريين وحدة رائعة . وكانت مآسي أسخيلوس فترة في حين عصر بركليس ، أزهى عصور الأدب في التاريخ القديم ؛ ودراما اليوم (أجاممنون) هي الحلقة الأولى ـ أو الفصل الأول ـ من إحدى ثلاثيات إسخيلوس (الأورستية) نسبة إلى بطل المأساتين الأخريين (أورست) (١) بن أجاممنون وضحية الأمومة الأثيمة ، ويعدها نقاد الأدب الكلاسكي أروع ما في الأدب اليوناني

« وإسخيلوس هو أول من سار بتقاليد المسرح القديمة ، بل ربما كان واضع أول لبنة في المسرح القديم . وقد كانت الدراما ـ أو المأساة ـ قبله غير معروفة ، وكانت الغنائية (Cantata) هي المتداولة ، وكان القصاصون يقومون بتأدية الأدوار جميعاً . فلما كان اسخيلوس حتم أن يخصص لكل دور ممثل بعينه ، والمنشدون أو (الخورس) لهم مكانة رفيعة في دراما اسخيلوس وسوفوكليس ، وأناشيدهم هي شرح للاحداث التي تمهد للدراما أو تتصل بها . »

— ١ —

نحن في الـ (پيلوپيديه) ، ذلك القصر العتيق الشاهق ، الذي تكتنفه الأسرار ، وتهوم في أبهائه وردهاته الأخطار . . .

ومن الـ (پيلوپيديه) تصدر الأوامر ، فتصدع بها مملكة آرجوس . . . وتُجيَّش الجيوش ، وتتحرك الأساطيل . . . وتسير الدماء أنهاراً !

ومن هذا القصر ، يحكم الملكان الشقيقان أجاممنون ، ومنالايوس . . . أما أولهما فقد تزوج من الفتاة الكاسرة ، ذات الصولة ، كليتمنسترا ، بطلة المأساة التي نحن بصددها الآن . . . وأما ثانيهما ، فقد تزوج من الفتاة اللينة الغضة ؛ المترعة بالفاتن ، هيلين ! التي فرت مع عشيقها المجرم پاريس .. إلى .. طروادة ؟.. والتي شبت بسببها تلك الحروب الطويلة المروعة فذهبت بالنخبة الناضرة من شباب هيلاس واليوم . . .

والفتاتان شقيقتان ، وقد تبناهما تنداريوس العظيم ، وزوجهما من هذين الملكين الشقيين ، ليزيدا في شقائهما ، وليكونا حرباً عليهما وعلى شعبهما البائس لا تنتهي ! وليكونا كذلك ، ليلاً على هذا القصر العتيق الشاهق ـ الـ (پيلوپيديه) مظلماً . . . لا تنجاب غواشيه . . . ولا تنقشع دياجيره ! !

— ٢ —

وفرت هيلين الآبقة ، مع پاريس الآثم ؛ . . . فهاجت هيلاس ، وهبت ريح الحرب ، وتدفقت الجيوش إلى أوليس حيث الأساطيل في انتظارها ، لتمخر بها البحر اللجي إلى مدينة پريام . . .

وودع أجاممنون زوجته ... وذرفا ، وهما يتعانقان ، دموعاً حارة سخينة ! وانطلق مع شقيقه الملك البائس المفضوح في عرضه ، منالايوس ، إلى أوليس ... ليركبا مع بقية الجند ... وليبحرا إلى اليوم ...

بيد أن البحر المضطرب كان ينذر بتحطيم الأسطول إذا هم أن يقلع .

والعاصفة التي أطلق پوسيدون[1] عنانها كانت تثير في اليم موجاً كالجبال ... وكانت تراوح الشاطئ المرتجف وتغاديه ، فتهيل التراب وتسفيه ، وتحط صخره من علٍ وتغرق به ما تهاوى عليه من أسطول هيلاس ...

وانتظروا طويلا حتى تسكن العاصفة ، ويهدأ البحر

(١) إله البحر

(١) آثرنا هذه النسبة لسهولتها ولأننا مضطرون لتكرارها كثيراً في الدرامتين التاليتين والاسم الحقيق هو (أورستيس)

المصطخب ... ولكن ... بلا جدوى !

ثم قيل لهم إن الآلهة عطشى ، وأرباب الأولمب ظماء ، وإنها لا يروبها إلا دم عزيز غال يسفح ، ومهجة شابة غيداء تعال ، وإن الآلهة لا ترضى بإحدى ابنتى أجاممنون بديلا ! !

لا ترضى الآلهة أن يسفك دم إلا دم إنجينيا العذراء ، أو أختها الكاعب إيفاناسا ، فاذا لم ترو الآلهة فلن تهدأ العاصفة ، ولن يسكن العباب ، ولن يفتأ البحر يضطرب ، ولن يقلع هذا الأسطول اللجب

وتردد أجاممنون ! واضطرم قلبه بحنان الأبوة ! ولكن القادة تكبكبوا حوله يلحفون عليه أن يصغى إلى وحى السماء ، ويستجيب لأمر الآلهة ... فقبل ... وبكى ...

— ٣ —

وجىء بالعذراء البريئة إنجنيا ، ليحتفل بخطبتها إلى أخيل فيما ادعى الوالد المحزون فى رسالته إلى زوجه ...

ولكن الزوجة تكتشف أن لا خطبة هناك ... بل هناك قتلة شنيعة تنتظر ابنتها ... لا لشىء ... إلا أن ترى الآلهة ... كما أرجف المرجفون !

وتصبح أضواء الحياة كلها ظلمات فى عينى الأم ... وتحاول إنقاذ الفتاة ... ولكن ... عبثاً ! ... لقد تقدمت إنجنيا الى الكاهن الجلاد بقدم ثابتة ، وجأش رابط ، ونفس مطمئنة ... وأعلنت أنها تهب نفسها للوطن ... ! ودمها للآلهة ... وأنها تستودع الأولمب أباها ... وأمها ! ...

وأهوى الجلاد ... الكاهن ... بسكينه ... فهريق الدم العزيز الغالى ! !

— ٤ —

وعادت الأم المضعضعة إلى القصر الشاهق العتيق ... الى الـ(بيلوبيديه) ... تجتر هذه المصيبة الدامية ، وتنغص بتلك الداهية الحمراء !

وتحزن أياماً ...

ويشمل السواد كل شىء ... حتى أضواء الشمس ، وأنواف الزهر ، وآراد القمر ! !

كل شىء أسود حالك ... لا سيما ... قلب الملكة ... !

لقد انفردت فى هذا القصر العتيق ، فهى صاحبة الأمر والنهى فيه ، وكل شىء يصدر عن إذنها ويقضى بأمرها ... والملكة بأسرها بيديها ... ومع ذاك ... ومع كل ذاك ... فليس فى الدنيا العريضة ما ينسيها الجفيا ! أو يبعد عن عينيها ذلك المنظر الرائع الرهيب ... منظر السكين اللامعة تهوى على عنق الفتاة ... !

إنها أمامها أنى ذهبت وأيان وجهت . . .

ها هى ذى تمرح فى هذه الغيضة من حدائق القصر . . . وتلعب فى تلك الردهة من الطابق العلوى . . . وتغرق فى هذه اللجة من ديباج السرير . . وتداعب الظباء فى الحظيرة . . . وتضفر أعواد الزنبق للنمائيل . . . وتنثر الورود والرياحين تحت أقدام الدمى ... ثم ... ... !

ثم ها هى مسجاة فوق المذبح يتفجر من غلاصمها الدم ! !

— ٥ —

وسكنت العاصفة ، وهدأ البحر الجياش ، وأقلع الأسطول عن عليه ... وحوصرت طروادة ... وقتل الأبطال الصناديد من الفريقين ...

وكرت أعوام عشرة . . .

— ٦ —

« كيف يقتل ابنتى هذا الملك الذى قد قلبه من صخر كيف سولت له نفسه أن يأذن لجلاديه بذبحها ؟ أين حنان الوالد ؟ قربان للسماء ؟ أى سماء هذه التى تشره لدماء العذارى لا ظفر أجاممنون بأعدائه ! ولا حمله البحر إلى آرجوس كرة أخرى ! وروى ثرى طروادة من دمه ، كما رويت آلهته من دم ابنتى ! ! »

ووقر فى قلب كليتمنسترا أن تثأر لابنتها ... ولكن ... ممن ؟ من أجاممنون ... من أبيها أجاممنون ... ! إذن ... فلتدع غيلته فى هذه السنين العشر ، ولتحشد حولها أعداء هذا القصر العتيق الباذخ ... ولتحشش الأحقاد القديمة ، والثارات التى تتقلب فى أحشاء الماضى ... ولتجتمع عصابة الشرور فتدبر وتأمر ...

— ٧ —

ترك أتريوس ملك أرجوليس العتيد لولديه ، أجاممنون وأخيه ، وترك لهما كذلك إرثاً عتيداً من الدم لم يسمع الناس بمثله ... لن يسمعوا بمثله ... لأنه دم أعز الأبناء ... ورشوا لعين أيما شواء ...

ذلك أنه كان للملك أتريوس أخ يناوئه من أجل عرش أرجوليس وما يتاخمها من الاقطاعات ... وكان هذا الأخ (ثيذتيس) يحاول أن يجعل الملك فى أبنائه ... من دون أبناء أخيه ... ولكن أتريوس وقف على التدبير السيئ الذى يرسم خططه أخوه فى الظلام ؛ فما كان من أتريوس إلا أن دبر هو تدبيرا دمويا هائلا ... قضى به على أخيه وعلى أبناء أخيه ... إلا واحداً !

تودد إلى أخيه أياما ، وعاتبه فى هذه الجفوة التى لا يكون مثلها بين أخوين ، فأعتبه ... ثم دعاه الى وليمة فاخرة يقيمها له فى الا (بيلوپيديه) ... فقبل ثيذتيس !

وفى اليوم المحدد ... وبعد تدبير أحكمت حلقاته ... أقبل ثيذتيس ليؤا كل أخاه ، وليتصافح القلبان اللذان ينطوى كل منهما لصاحبه على الحب ... وأصرم الغل والحقد ...

وحان موعد الغداء ...

فنهضا الى خوان عامر مجلل بما لذ وطاب من لحم يملأ قتاره الخياشيم الجاثمة ، ويسيل لعاب الأفواه الملمظة ...

وجلس ثيذتيس المنهوم فأكل حتى امتلأ ... وما كاد ينتهى حتى كشف له الغطاء عن تلك الغيلة الفاسية ، التى يتغزه عنها أضرى الوحوش ! !

لقد أكل ثيذتيس حتى امتلأ من الشواء الفاخر الذى أعد له من لحم أبنائه ... وأكبادهم وقلوبهم ... وها هى الأصابع والأيدى والرؤوس والأقدام فى سفط كبير على مقربة من الوالد البائس ... شهيد على ذلك ! !

وجن جنون الأب المسكين !

ولكنه عوجل هو الآخر بقاصمة الظهر ... فذهبت روحه تتردى فى ظلمات هيدز !

فيا للوحشية ... وويل للمتوحشين ! ! !

— ٨ —

وكان إيجستوس يتقلب على وجهه فى البلاد

فلما علم بالمأساة التى ذهبت بأخوته ، وبأبيه ... شرد فى الأدغال ، ونفر فى التيه الذى لا أول له ولا آخر من غاب هيلاس وأنس الى الوحشة ، وسمر الى الذئاب ، وصحب اللصوص وقطاع الطرق ... وتلبث حتى استد ساعده ، واشتد عوده ... وعاد مستخفياً يدبر أمر هذا الثأر الثقيل ، ويرسم الخطط لهذا الدم المطلول ...

ولكن ... لقد مات أتريوس ... وحكم من بعده ابناه أجاممنون ومنالايوس ... وها اليوم تحت أسوار طروادة يصطرعان مع الطرواديين

فهل تزر وازرة وزر أخرى ؟

أجل ! ! (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ... فليتقوا الله ! !)

إيجستوس ! هذه فرصتك فلا تفلتها ! !

— ٩ —

واتصل إيجستوس بالقصر ، وتأكدت بينه وبين كليتمنسترا أواصر الود أولا ؛ ثم انقلب الود واتحاد المقصد وبغض أجاممنون وأسرة الا (أتريديه) فصارت غراما أثيما وعشقا فاسقاً ولذاذة مجرمة

وهمى قلب الأم ... وحجبت الغواية بصيرتها ؛ فنفثت ولديها[1] : أورست الغلام الحدث ، وإفيانا سا الفتاة الناعسة بعيدا عنها ، لتزداد إغراقا فى اللذة ، ولينام ضميرها الميت ملا يوقظه هذا النسل البرىء من سلب أجاممنون ! !

— ١٠ —

العاصفة تهب بشدة[2] ، والحارس المتعب يلفحه البرد القارس فوق سطح القصر الملكى العتيق ، الا (پيلوپيديه) ، والليل الرهيب ينظر الى القصر الغائض بالأسرار بعين قلقة من تلك النجوم الخافقة ؛ وسنوات عشر قد تصرمت ، وهذا الحارس المسكين فى مكانه من هذا البدان الملق بين الأرض والسماء ... أجل عشر سنين طوال كأنها عشر أحقاب كاملة ، وهو يروح ويجىء كأنه آلة الزمن ، أو قوس من دائرة الفلك ..

وهو يشكو ، ويحاول أن يتسلى بأغنية أو صفير ، ولكن الأسرار الهائلة التى يمج بها القصر من تحته تفزعه ، فيعزف عن الغناء وعن الصفير ... ويصل شكواه ، ويرسل بثه

وهو هناك فوق سطح القصر الملكى منذ قيام تلك الحملة المشئومة الى طروادة ... وهو الى هذه الليلة يرقب النيران التى إذا تأججت فى رؤوس الجبال كانت بشرى سقوط طروادة !

وأومض البرق فى الظلماء فجأة ! ... واندلعت النيران المنشدة ! واستطير الحارس من الفرح ؛ وفرك عينيه ليستيقن

(١) يتناول سوفوكليس هذا الحدث من وجهة نظر ثانية ورأى آخر سنعرض لهما فى حينهما إن شاء الله

(٢) من هنا نبتدئ درامة اسخيلوس

أنه ليس فى حلم . . . ولكن النار تندلع وتشتد . . . إذن انتصرت جيوش هيلاس ... وسقطت مدينة بريام !

وأى بأس فى أن ينطلق هذا الحارس المسكين فيزف البشرى إلى الملكة ... لا بأس ! ولكنه ما يكاد يخطو خطوة واحدة ، مفترا فى ظلمات الليل البهيم عن ابتسامة الجذل ، حتى يذكر الأسرار الهائلة التى نسجتها عناكب القدر فى القصر ... فتنقلب ابتسامته الجذلة الى عبوسة قاتمة ... فيقف مكانه ويصمت ! !

— ١١ —

ويدخل المنشدون حديقة القصر ، ويهزجون بنشيد طويل حلو [1] ثم تقبل الملكة فيتقدم اليها رئيس الخورس محييا ويتساءل : « هل من نبأ عن الجلة يثلج الصدر المكروب ويهيج النفس المحروبة ؟ » وتبتسم الملكة ابتسامة خبيثة صفراء ، ثم تزف بشرى انتصار الهيلانيين

— « وكيف ؟ لا نصدق ! ولكن تكلمى ... تكلمى أيتها الملكة ! »

— « اليوم فى قبضة رجالنا ! هل أراك فهمت ؟ »

— « إنها مفاجأة تملأ أعيننا دموعاً ... »

— « وإنها دموع تؤكد إخلاصكم وطهارة قلوبكم »

— « ولكن هل من برهان أيتها الملكة ؟ »

— « ما لم يكن بعض الآلهة يخدعنى ! »

— « ألا تكونين قد اغتسلت لفقوة لذيذة فشهدت رؤيا طارئة ؟ »

— « إن أوهام المنام لم تخدعنى قط ! »

— « إذن منذ كم سقطت طروادة ؟ »

— « فى نفس هذه الليلة التى كاد صبحها يتنفس ؟ »

— « وأى رسول حمل اليك النبأ فى مثل هذه السرعة ؟ »

— « النار الآلهية ألمعت به إلى هنا من ذروة جبل إيدا ... وهشيم الحلنج المتأجج فى شعاف الجبال ورؤوس الآكام ... »

واستطردت كليتمنسترا فذكرت كيف أشعل الهيلانيون النيران فى قُلَل الشاطئ الأسيوى ، ثم كيف تنقل الوميض فى السموات حتى عكسه أفق أرجوليس ... وطفقت تحشد الكنايات فى حديثها ، وتنثر الألغاز فى ثناياه ... صادرةً عن غلو القيم وحقدها القديم على أجاممنون !

— « بالظنين النصر فى طروادة اليوم ؟ ... ... أحسب ألا يستطيع أحد أن يميز سيحات السادة الظافرين من صيحات العبيد المقهورين بين جدرانها ! إنهم سواء منكودو الحظ ، سود الجدود ، حقيقون بالرثاء ! ومن يدرى ؟ فلعل الآلهة تنضم فتنتقم ممن دنس هياكلها ، وسطا على طُرفها وتحفها بجملة فى جملة الغنائم والأسلاب ! ... ولعل أرواح الضحايا (! والشهداء تهب من مراقدها مغضبةً حانقة فتقف فى سبيل الأبطال الظافرين فلا يعودون إلى أوطانهم ! ... ولكن فلتأخذ حق ... دون أن ترتكب ألف مذمة باسمه ! ... »

— ١٢ —

ويفطن الخورس إلى ما كان يتناثر فى حديث الملكة من ألغاز ، ويفطنون إلى هذا الفتور وذاك الضيق اللذين كانت تزفر فى ظلالهما بشرى سقوط طروادة ... فيعزونه إلى أسبابه التى بانت لا تخفى على أحد فى المملكة ... ثم يتشككون فى كل ما انطلق به لسانها ويحسبونه هذياناً فى هذيان !

وما يكادون يفرغون من نشيد طويل رائع حتى يحمل البشير فيزف اليهم النبأ الصادق ويبشرهم بأوبة الملك ، ثم يعدد لهم شطراً مما لقيه الجنود تحت أسوار إليوم : « بل ما لقى الطرواديون بوجه من مصائب الحصار وكوارث القتال ، ثم هدم النهاية التى أبادت دورهم وقوضت بنيانهم ... »

بيد أنه سرعان ما يفطن البشير إلى تلك الكآبة التى تغشى نفوس القوم ، فيسائلهم ، ويجيبه رئيس الخورس :

— « لقد كان الصمت . وسيظل ... ملاذنا أيها البشير ! »

— « وكيف ؟ أترهبون أحدا فى هـــذا القصر غير مولاكم ؟ »

— « ... ؟ ... ! ... »

— « أسرار ... أسرار ... »

— ١٣ —

وتقبل الملكة كرة ثانية فتلمح تثلج مشاعر المنشدين وتحاول أن تخدعهم عن خاتمة نفسها فتقول : « هل صدقتم الآن أن إليوم قد سقطت ؟ ! لقد كنتم فى مرية من بشراى التى زففتها اليكم لأنكم لم تروا أمامكم تلك الفتاة المزهوة التى تكاد تجن من الفرح

(١) نأسف جدا لاضطرارنا الى حذف الأناشيد برغم أهميتها بكتفين بما قدمنا للدراسة من شرح مسهب ، وذلك لأننا نحاول اعطاء القارئ صورة خفيفة قريبة بقدر المستطاع الى الأصل على ألا تمل . وربما عرضنا للأناشيد فى بحث خاص

لهذا النصر المفاجئ الذى إنتظرناه طويلا ... بالكم أيها الرجال !
وأنت أيها البشير ! أرى إلى قربانى الجسد ذى الخوار الذى أعددته أضحية لما بشرتنا به ؟ ... وسترى كيف ينتشر البخور من مجامر الند ومخارق العنبر فيؤرج أجواء آرجوس تحية لملك.
تعال ... تعال أيها البشير فقص علىّ كيف سقطت طروادة وكيف رغم أنف ملكها ! ... ولكن ... لا ... ليست لى بك حاجة ... اذهب ... فلن أسمع قصة ذلك إلا من رجلى ... أجاممنون ... ملك أرجوليس ومعقد آمالها ! ... أى فخار لمرأة أكبر من أن تستقبل فيض النور السماوى يتنزل عليها من العلو ... حين يعود إليها بعلها وعلى رأسه إكليل من غار النصر ؟ وأى فخار للرجل أكبر من أن يعود من حلبة الحرب فيجد زوجه وفية له كما تركها مخلصة كآخر عهده بها ! ؟ حريصة على أسراره ... قائمة على بيته ... ساهرة على أبنائه ككلبه الأمين !! ماتزال تحمل ذكرى عنائه الأخير ، وتشدو آخر قبلاته كأحسن أغاريد الحياة !
بالفخر ... بالفخر ... »

وتخرج الملكة ... ولا ينطلى ما زخرفت من قول على أحد !
ـ « ها قد سمعت مقالة الملكة ، فلتكن أذنك ترجمانك الأمين ! ... ولكن ... حدثنا بأربابك عن أمير هذه البلاد المحبوب ، جليل المقام منالايوس ... هل قدم معكم فى أمان إلى أرض الوطن ! ...

ويرمق وجه البشير ، ثم يمهد لحديثه بمقدمة مجلوة ، ويذكر كيف ثارت العاصفة فبعثرت الأسطول المنتصر ... « وفصلت سفائن منالايوس عن سائر الأسطول ، فلا يعلم أحد أين رست به إن كانت قد سلمت من غضبة البحر الذى طفق يتدجى فوقنا كأنه الليل ...

... ولم نصدق أننا نجونا من فورة هذا العباب حتى انبلج الصبح ، فصلينا للآلهة ، وشكرنا للسماء ... وابتهلنا الى الأوائل أن يحفظ منالايوس ، وأن يرده سالماً إلى أرض الوطن ... »

ويأخذ الخورس فى نشيد بعضه شدو وبعضه شجو ... وبعضه سخط على هيلين ... التى فاز بها من فاز بالحرب ... وتزوج منها من تزوج بالحرب ... والتى كانت على جميع من اتصل بها حرباً أى حرب ! »

— ١٥ —

وبينا المنشدون يتغنون بألحانهم ، إذا عربة مطهمة ، تجرها صافنات جياد ، تدخل جؤجأة فتكون تلقاء القوم ...

ويكون فى العربة أجاممنون الظافر المنتصر ، قاهر طروادة ؛ والى جانبه تلك النبية المباركة ... حبيبة الآلهة ... الفتاة العذراء .. كاسندرا ابنة برياموس العظيم ملك إليوم المقتول ... عاد بها أجاممنون من جملة السبى لتكون خليلة له ...

ويحيى الخورس ملكهم بلحن سلو من موسيقى السماء ، يبللونه بدموعهم ويصهرونه بحرارة قلوبهم ، فيشكر لهم ويثنى عليهم ، ويقول :

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

وزارة المعارف العمومية

ادارة السجلات والامتحانات

الامتحانات

اعلان

سيعقد امتحان الشهادة النهائية لمدارس المحاسبة والتجارة المتوسطة هذا العام فى يوم السبت الموافق ٦ يونية سنة ١٩٣٦ فعلى الطلبة الذين يرغبون فى التقدم لهذا الامتحان من الخارج وتنطبق عليهم شروطه أن يقدموا طلباً بذلك إلى المدرسة التى كانوا بها فى ميعاد غايته يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٦ مبيناً به ما يأتى

(١) تاريخ اللحاق بالمدرسة

(١) تاريخ الخروج منها وسبب ذلك

(٣) عدد مرات الرسوب فى الامتحان النهائى وتاريخ آخر امتحان رسب فيه

وستعلن المدارس الطلبة الذين توافق الوزارة على دخولهم الامتحان بميعاد سداد الرسم المقرر وقدره ثلاث جنيهات مصرية ، وعلى الطالب عند سداد الرسم ملء خانات الاستمارة الخاصة التى يمكن الحصول عليها من المدرسة المختصة بدون ثمن